

مقالة بعنوان

مؤشرات الجودة في التعليم الجامعي الفلسطيني

إعداد

د. سهيل رزق دياب

سبتمبر 2005

ما من أحد ينكر أن التعليم الجامعي الفلسطيني يشهد اهتماماً ملحوظاً على مختلف المستويات وتطويراً مستمراً نحو الأفضل لمواكبة حاجات مجتمعنا وحاجات أفراده، ولذلك ينظر إليه على أساس دوره المتميز في إعداد الكوادر والطاقات البشرية الفنية والعلمية والثقافية والمهنية، وكذلك إعداد القيادات الفكرية في مجالات التعليم المختلفة العلمية والمهنية.

ومما لا شك فيه أن التعليم الجامعي الفلسطيني قد شهد تطوراً كبيراً خلال السنوات الأخيرة، فلقد سجل نمواً مطرداً من حيث الكم في زيادة عدد الطلبة الملتحقين في الجامعات وعدد الأساتذة وكذلك عدد الجامعات والكليات، إلا أن هذه الزيادات لم يصاحبها زيادة مشابهة في النمو النوعي، وهذا ما يؤكد عدم وجود نوع من التوازن بين الكم والكيف.

وتتناول هذه المقالة موضوعاً واسعاً نال اهتمام العاملين التربويين في الماضي والحاضر، ولا يزال في بؤرة اهتمام العديد من كبار المربين وقادة المجتمع وهو موضوع "الجودة في التعليم الجامعي الفلسطيني".

فجودة التعليم تعتبر إحدى المسائل الحيوية في نظام التعليم المعاصر، فالمناهج والبرامج التعليمية التي طبقت لتحسين نوعية التعليم في الماضي قد أبرزت تحسناً محدوداً في الأداء الأكاديمي في الجامعات والمؤسسات التربوية، غير أن جودة التعليم لا تزال موضوعاً مثيراً للجدل.

وعليه فقد زاد الاهتمام بهذا الموضوع وكانت قد وجهت العديد من الدول إلى نظمها التعليمية نقداً وعدم رضا لانخفاض مستوى الجودة فيها، كما ركزت على دراسة الجوانب المرتبطة بجودة التعليم إثر اكتشافها انخفاض مستوى التعليم فيها، وتزايد هذا الاهتمام في وقتنا المعاصر بسبب الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي وما صحبه من تغيرات اقتصادية وتوسع تعليمي، وضغوط اجتماعية على مؤسسات التعليم العالي، وزيادة الدافعية للتعليم، حتى صار السعي وراء تحقيق الجودة مطلباً ضرورياً يستلزم وضع مؤشرات ومعايير لها يمكن استخدامها في الحكم على مستوى الجودة في هذا النمط من التعليم من أجل تحسينه وتطويره.

وبطبيعة الحال فإن جودة التعليم في معظم جامعاتنا الفلسطينية لا تختلف عن مثيلاتها في الجامعات العربية، وحيث إن معظم مؤسساتنا التربوية لم تصل بعد للمستوى المطلوب من الجودة التي يطمحها القائمون على هذه المؤسسات وخاصة عندما يلاحظون إتباع سياسة التوسع في قبول الطلبة دون أن تتوفر الاستعدادات الكافية لذلك لا من ناحية المعامل والمختبرات والمكتبات والمستلزمات الأخرى، ولا من ناحية التمويل اللازم، وكذلك عندما يجدون تحوّل التدريس في كثير من الكليات إلى ممارسات شكلية قليلة الجدوى، لا يقوم على فعالية المتعلم ودوره كباحث ومستقصي للمعرفة، فقد سعت هذه المقالة لإثارة الاهتمام بموضوع الجودة والإسهام في بناء مؤشرات لها بهدف تطوير آلية عمل يمكن من خلالها زيادة جودة مؤسسات التعليم الجامعي في فلسطين.

وبالرغم من أنه يصعب تعريف الجودة بطريقة مباشرة ودقيقة في المجال التربوي ووصفه بأنه مصطلح محيرّ وأنه قضية جدلية تتباين وجهات نظر الباحثين حوله إلا أن بعضهم ربط تعريف الجودة بالأهداف، أي أن الجودة تُعرف بدلالة الأهداف المطلوب تحقيقها، فأى مؤسسة تربوية تحقق أهدافها كاملة تعد مؤسسة جيدة، ومنهم من ربط تعريف الجودة بالمدخلات والعمليات، فتحقيق الأهداف يتوقف على العديد من العوامل من المدخلات المادية والبشرية وطرق استخدامها واستثمارها.

وهناك من يرى أن الجودة الشاملة في التربية هي مجموعة من الخصائص أو السمات التي تعبر بدقة وشمولية عن جوهر التربية وحالتها بما في ذلك كل أبعادها من مدخلات وعمليات ومخرجات أي بمعنى أن تكون مخرجات جيدة ومتفقة مع أهداف النظام من حيث احتياجات المجتمع ككل في تطوره ونموه، واحتياجات الفرد باعتباره وحدة بناء المجتمع، ومن خلال التوازن بين الكم والنوع في هذا النظام.

ونظراً لصعوبة الاتفاق على مفهوم للجودة، فإن قياسه والحكم عليه يُعد أكثر صعوبة، ولذا يتأثر قياس الجودة في العمل التربوي إلى حد كبير بدرجة شمولية وتكامل تعريف الجودة.

وعليه فإن مؤشرات الجودة في التعليم الجامعي لا بد أن تكون شاملة لمحاور عديدة حتى تصلح لأن تكون أساساً للتقويم والتطوير. وقد صنفت منظمة ألبرت في التربية (Alberta Dept of Ed.) مؤشرات الجودة التربوية وأوردتها في مقالة خاصة بالعناصر التالية:

الهيكل التعليمي، البيئة المحيطة، المدخلات، العمليات، المسؤولية، التمويل، الإصلاح التربوي، العوامل الاقتصادية والاجتماعية للأسرة، فعالية الإدارة الدراسية، فعالية التدريس، الإنجاز ويتضمن النتائج التحصيلية (Alberta, 1990).

وظهرت بحوث بيركي وسميث (Purkey & Smith, 1990) والتي أدت إلى تغيير قائمة ومواصفات مؤسسة التربية الفعالة، وكشف الدراسات والأبحاث النقاب على أن هذه المواصفات ترتبط بتحصيل عال للطلبة.

كما وضعت جامعة شمال فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية (Valeria, 1998) تسعة مؤشرات للجودة وكانت على النحو التالي:

التقدم التربوي - المردود (النواتج التربوية) - بقاء المتعلم في البرنامج مدة كافية حتى تتحقق الأهداف التربوية - انتقاء الطلاب - البرنامج التوجيهي، تخطيط البرنامج وتقويمه - الخدمات التي تقدم للطلاب الذين يحتاجونها - المنهاج والتدريس - تنمية هيئة التدريس.

كما أجرى ستانلي جوردون (Stanley, 1995) دراسة عن مؤشرات الجودة والأداء في الجامعات الاسترالية فحص فيها العلاقة بين الأداء الكمي والمؤشرات المتنوعة لجودة الجامعات الاسترالية وتوصل من دراسته إلى وضع ثمانية مؤشرات مرتبطة بجودة التعليم العالي وهي:

مستوى الخريج الجامعي - إنتاجية أعضاء هيئة التدريس في نشر بحوثهم - حجم المؤسسة التعليمية - عدد الطلبة في المؤسسة التعليمية ومعدلات أعضاء هيئة التدريس بالنسبة للطلبة - القبول والانتقاء للطلبة - السمعة والشهرة التي يحصل عليها أعضاء هيئة التدريس - الظروف المالية والإنفاق على كل طالب، تكلفة كل طالب في العملية التعليمية.

هذا وقد استفاد الكاتب في هذه المقالة من الدراسات السابقة في تحديد المعايير والمؤشرات التي تساعد على إيجاد المؤسسة التربوية الفاعلة ومنها:

أ. المدخلات الأساسية الضرورية:

وتتمثل في: المنهاج - المواد والتجهيزات - وقت التعلم - التعليم. فالمؤسسة الفاعلة هي التي تحاول جهدها من أجل توفير هذه المدخلات بغض النظر عن أوضاعها.

ب. التسهيلات:

حيث تعتبر هذه التسهيلات مطلباً أساسياً لوجود المؤسسة الفاعلة التي تتميز بالجودة، وعلى المؤسسة أن تتأكد من أن هذه المصادر تستخدم بفعالية. وفي ضوء ذلك تم تصنيف وتحديد مؤشرات الجودة في التعليم الجامعي الفلسطيني في ثمانية محاور رئيسة يندرج تحت كل محور مؤشرات فرعية وذلك على النحو التالي:

المحور الأول: الطلاب:

حيث يعد المتعلم أحد عناصر العملية التعليمية وتتعدد مؤشرات الجودة المرتبطة في هذا المحور إلى ما يلي:

- أ- انتقاء الطلاب: حيث يمثل الخطوة الأولى في جودة التعليم الجامعي، وحتى يكون انتقاء الطلاب واختيارهم مؤشراً مهماً للجودة فإنه يجب أن يتم عن طريق اختبارات معينة مصممة لهذا الغرض، ولذا فالجامعة التي تنتقي طلابها انتقاء جيداً غالباً ما تكون الجودة فيها عالية.
- ب- نسبة عدد الطلاب إلى عدد أعضاء الهيئة التدريسية، حيث تتوقف جودة التعليم العالي على قدرة أعضاء هيئة التدريس على أداء مهامها على أعلى مستوى، وهذا الهدف يتوقف على إجمالي عدد أعضاء هيئة التدريس ونسبتها إلى مجموع عدد الطلاب.
- ج- متوسط تكلفة الطالب: حيث تقاس الجودة بمعدل الإنفاق على كل طالب، ورغم أن متوسط تكلفة الطالب مؤشر مهم للجودة إلا أنه ليس المؤشر الوحيد لأن نوعية الإدارة والتوجيه والحفز كل ذلك يدخل كعوامل مؤثرة في نوع الإنفاق.
- د- الخدمات التي تقدم للطلاب: من خدمات صحية وإرشادية ومساعدات مالية.
- هـ- دافعية الطلاب واستعدادهم للتعليم حيث تتوقف جودة التعليم على مدى توافر الدافعية والاستعداد للتعلم وإقبال الطلبة بحماس نحو التعليم. فالجودة ترتبط بوجود دوافع قوية لبدء التعلم واستمراره وحفزه وإتقانه.

- و - نسبة الخريجين في كلية ما والذين التحقوا في برامج الدراسات العليا إلى نسبة الخريجين من هذه الكلية.
- ز - ارتباط هيكل الطلبة الجامعيين حسب الكليات والتخصصات باحتياجات المجتمع.
- ح - مستوى الخريج الجامعي حيث يعد الخريج النتاج النهائي لجميع أنشطة التعليم الجامعي فبحسب هذا المستوى يمكن الحكم على جودة التعليم الجامعي ومؤسساته.

المحور الثاني: أعضاء الهيئة التدريسية:

ويندرج تحت هذا المحور المؤشرات التالية:

- أ - حجم أعضاء هيئة التدريس وكفائاتهم إلى الحد الذي يسمح بتغطية جميع المقررات الدراسية.
- ب - امتلاك أعضاء هيئة التدريس الكفايات التدريسية إضافة إلى نموهم المستمر في مجال تخصصهم.
- ج - مساهمة أعضاء هيئة التدريس في خدمة المجتمع.
- د - مستوى التدريس الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس.
- هـ - الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس من بحوث ودراسات منشورة وكتب ومقالات.
- و - مدى تفرغ أعضاء هيئة التدريس.
- ز - مشاركة أعضاء هيئة التدريس في الجمعيات العلمية والمهنية.
- ح - احترام أعضاء هيئة التدريس لطلابهم.

المحور الثالث: المناهج الدراسية: ومن مؤشرات

- الخطط الدراسية والتقويم السنوي - الكتب والمراجع الإضافية والكتب الموصى باقتنائها في المكتبة - أسلوب التقويم المستخدم وأدواته - البناء والمرافق والتجهيزات - تقنيات التعليم والوسائل التعليمية والتجهيزات والمشغل التربوية - نوعية الأنشطة المرافقة للمناهج - محتوى برامج الإعداد والتدريب أثناء الخدمة.

المحور الرابع: الإدارة الجامعية: ويندرج تحته المؤشرات التالية:

- التزام الإدارة العليا بالجودة واهتمام القائمين بها - العلاقات الإنسانية بين العاملين - اختيار الإداريين وتدريبهم والحد من إعدادهم بحسب الحاجة.

المحور الخامس: الإمكانيات المادية: ومن مؤشراتته:

مرونة المبنى الجامعي وقدرته على أداء المهمة المنوطة به وكفايته لاستيعاب عدد الطلبة - مدى استفادة أعضاء هيئة التدريس والطلبة من المكتبة الجامعية - مدى استفادة أعضاء هيئة التدريس والطلبة من المعامل والتقنيات المتوافرة - حجم الاعتمادات المالية.

المحور السادس: الجامعة والمجتمع ومن مؤشراتته:

ربط التخصصات المختلفة في مؤسسات التعليم الجامعي الفلسطيني باحتياجات المجتمع - ربط البحث العلمي بمشكلات المجتمع المحيط بالمؤسسة بغية إيجاد الحلول الناجعة لها - التفاعل بين المؤسسة بمواردها البشرية والبحثية والفكرية وبين المجتمع بقطاعاته الإنتاجية والخدماتية.

المحور السابع: استقلالية الجامعات: ويتدرج تحته المؤشر التالي:

التوازن بين مقتضيات الاستقلال الجامعي والذي ينطلق من حرية التعبير والبحث العلمي وبين مقتضيات الإشراف الحكومي الذي يرتبط بالتمويل ومراعاة تقاليد المجتمع.

المحور الثامن: التنوع والتباين بين الجامعات : ويتدرج تحته :

مراعاة كل جامعة لاحتياجات المجتمع المحيط بها - مدى ملاءمة الخريجين من التخصصات المختلفة لحاجة المجتمع.

وختاماً لما سبق توصي هذه المقالة بضرورة وضع المعايير والمؤشرات التي سبق تحديدها في قائمة رصد والاستفادة منها في التطبيق الفعلي والميداني لجامعاتنا ومؤسساتنا التربوية، والاستفادة من نتائج التطبيق في الحكم على مستوى جودة المؤسسات التربوية الفلسطينية بهدف تحسينها والارتقاء بها. كما نقترح إجراء مزيد من البحوث والدراسات وتطوير أدوات توظف في الكشف عن جودة مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني.

المراجع:

أولاً: العربية:

- 1- أنيس، عبد العظيم (1996) "مقترحات لتحسين الجودة في التعليم " مؤتمر التعليم العالي في مصر وتحديات القرن الحادي والعشرين، المنوفية.
- 2- زيدان، مراد (1996) " جودة التعليم المصري " القاهرة : كلية التربية بالفيوم.
- 3- عابدين، محمود (1989) " الجودة واقتصادياتها في التربية " دراسة نقدية في مجلة دراسات تربوية، المجلد السابع القاهرة.

ثانياً: الأجنبية:

- 1- Albert Edmonton, (1990) "Educational quality Indicators" Annotated Bibliography, 2nd edition, Canada.
- 2- Edward Sallis, (1990) " Total Quality management OP-CIT.
- 3- Stanley, Gordon (1995) " Performance Indicators and Quality review in Australian Universities". Higher Educ. Research and Development, Vol.4, no.2.
- 4- Valeria, Bryan (1998) " Diagnostic and Prescriptive instrument of quality indicators" U.S.A. Vol. .